الفصل الثالث

الخديعة الكبرى

● القضية العربية فى طور جديد ـ أرهاب جمال باشا يعجل بالثورة العربية ـ بريطانيا صديقة العرب ضد الأتراك !! ـ اعلان الحماية فى مصر ـ السلطان حسين كامل ـ الملك فيكم آل اسماعيلا ـ الاتصالات الأولى بشريف مكة من القاهرة ـ تطويق الحركة العربية ـ كتشنر ـ ماكماهون ـ ستورز ـ وينجت ـ هوجارث ـ كلايتون ـ الوجه الآخر للسياسة البريطانية : بلفور ـ سايكس ـ صمويل ـ وايزمان ـ محور (برانديس ـ ويلسون ـ وايزمان) ـ مراسلات حسين/ماكماهون ـ اعادة الخلافة الى العرب ـ ثقة الشريف حسين فى الشرف البريطانى ـ اتفاق سايكس/بيكو ـ اعلان الثورة العربية فى الحجاز ـ الأهمية الحربية الثورة العربية ـ وعد بلفور ـ وعود أخرى ـ تناقض الوعود البريطانية ـ مؤتمر الصلح فى باريس ـ لجنة كنج كرين ـ رسائل : (ويلسون ـ فرانكفورتر) ـ فلسطين تتأهب لاحباط المشروع الصهيونى ـ الصهيونية توجه وزارة الخارجية البريطانية ـ لجنة صهيونية تزور فلسطين ـ الاعداد لتنفيذ المشروع الصهيونى ـ ثورة ١٩١٩ ـ زغلول وفيصل امام مؤتمر الصلح فى باريس .

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com

الخديعـــة الكبرى

دخلت القضية العربية فى مصر والهلال الخصيب طورا جديدا بعد نشوب الحرب العالمية الأولى (١٤ يوليو ١٩١٤) واعلان بريطانيا الحرب على ألمـــانيا (٤ أغسطس ١٩١٤) وانحياز تركيا الى صف ألمـــانيا (٢٩ أكتوبر ١٩١٤) وكان أهم معالم هـــذا التحول اتجاه الحركة العربية فى سوريا والحجاز نحو الاستقلال السياسى والاستعانة ببريطانيا فى تفجير ثورة مسلحة ضد الأتراك واتخاذ بريطانيا مظهر الدولة المناصرة لحركة التحرير العربية ، بعد أن اتخذت من دخول تركيا الحرب ذريعة لاضفاء نوع من الشرعية على وجودها فى مصر باعلان الحماية عليها •

ففى ١٨ ديسمبر عام ١٩١٤ أعلنت الحماية البريطانية على مصر ثم « ذهب المستر ملن شيتام القائم بأعمال الوكالة البريطانية فى القاهرة والمستر ستورز سكرتيرها الشرقى الى القصر الذى يقيم فيه الأمير حسين كامل باشا وقدما اليه بلاغ الحكومة البريطانية المؤذن بجعل القطر المصرى تحت حمايتها وبجعله سلطانا من قبلها لمصر »[١] وصدر بيان رسمى من السلطات البريطانية فى القاهرة نشر فى الصحف المصرية وورد فيه « ان جميع الحقوق التى كانت لسلطان تركيا والخديو السابق قـــد سقطت منهما وآلت الى جلالة ملك بريطانيا وان أفضـــل وسيلة لقيام بريطانيا العظمى بمسئوليتها نحو مصر أن تعلن الحماية البريطانية اعلانا صريحا وان حكومة البلاد (مصر) تحت هـــذه الحماية تكون بيد أمير من أمراء العائلة الخديوية طبقـــا لنظام وراثى يقرر فيما بعد »[٢] كذلك أشار البلاغ الى أن الاتصال بين حكومة مصر وممثلى الدول الأجنبية لا يتم الا عن طريق وكيل الحكومة البريطانية فى القاهرة » •

---

(١) المنار ، ج ١ م ١٨ — ١٤ فبراير ١٩١٥ ص ٥٣ — ٥٦

(٢) المصدر نفسه •

وفى اليوم التالى تم خلع الخديو عباس الثانى الذى كان فى الآستانة فى ذلك الحين •

وفى احتفال كبير أقيم يوم ٢٠ ديسمبر عام ١٩١٤ تم نصب الأمير حسين كامل سلطانا لمصر وكان أحمد شوقى أحد الشعراء الذين شاركوا السلطان الجديد ابتهاجه فى ذلك اليوم بقصيدته الشهيرة :

الملك فيكم آل اسماعيلا ... لازال بيتكمو يظل النيلا
لطف القضاء فلم يمل لوليكم ... ركن ولم يشف الحسود غليلا
هذى أصولكم وتلك فروعكم ... جاء الصميم من الصميم بديلا
أنتم بنو المجد المؤثل والندى ... لكمو السيادة صبية وكهولا
أحيا أبوكم شاطئيه وابتنى ... مجدا لمصر على الزمان أثيلا
نشر الحضارة فوق مصر وسوريا ... وامتد ظلا للحجاز ظليلا
وأعاد للعرب الكرام بيانهم ... وحمى الى البيت الحرام سبيلا[٣]

وقد سبق اعلان الحماية البريطانية على مصر اعلان الأحكام العرفية (٢ نوفمبر ١٩١٤) والرقابة على الصحف والاجتماعات العامة[٤] وخفت صوت الحركة الوطنية خلال الفترة (١٩١٤ — ١٩١٨) ، حتى اذا وضعت الحرب أوزارها انفجرت الثورة الوطنية ضد الاحتلال بقيادة سعد زغلول فى سنة ١٩١٩ •

ان ما حدث فى مصر بعد اعلان الحرب العالمية الأولى هو ما كان يخشاه قادة الحركة الوطنية منذ بدأوا يقاومون الاحتلال فتحقق ما كانوا يحذرون وانقطع حتى ذلك الخيط الرفيع الذى كان يربط مصر بدولة الخلافة العثمانية لتنفرد بريطانيا بالسيادة على مصر من الناحية الواقعية ومن هذا الموقع أخذت بريطانيا تباشر سياستها الجديدة نحو الحركة الوطنية فى مصر والهلال الخصيب •

---

(٣) المصدر نفسه ص ٥٩

(٤) P.M. Holt (Editor) Political and Social Change In Modern Egypt (MahmudZaid) op. cit., pp. 334 - 341.

وفى عامى ١٩١٥ و ١٩١٦ أفلحت بريطانيا بمساعى ممثليها فى مصر والسودان فى اكتساب ثقة الحركة العربية بقيادة شريف مكة الحسين بن على ، لكنها لم تكسب تلك الثقة بمعاهدات تلتزم بها بل بوعود يمكن انكارها أو تفسيرها بما يتفق ومصالحها ، وهـذا ما لم يفطن اليه قادة الحركة العربية آنذاك لأنهم كانوا يثقون فى شرف بريطانيا من ناحية(٥) وكانوا من ناحية أخرى يخوضون معركة ضاريـة وهم عزل ضد جمال باشا قائد الجيش الرابع التركى فى سـوريا ، معركة سقط فيها عشرات الشهداء فى أنهر من الدماء وشردت فيها مئات الأسر رجالا ونساء وأطفالا(٦) ومن ثم ساعدت سياسة جمال باشا وفتكه بقادة الحركة العربية على دفع العرب دفعا الى الوقوع فى فـخ الوعود التى كانت بريطانيا تنثرها ذات اليمين وذات الشمال بين عامى ١٩١٤ و ١٩١٨ ولعب عدد من الشخصيات البريطانية الشهيرة دورا هاما فى تطويق الحركة العربية فى الهلال الخصيب وقمعها فى مصر ، منهم لورد كتشنر وريجنالد وينجت وآرثر هنرى ماكماهون ورونالد ستورز ود٠ج هوجارث وجلبرت كلايتون كما لعب آخرون من المسئولين البريطانيين فى الوقت ذاته دورهم على صعيد آخر لتحقيق أحلام الصهيونية فى احتلال فلسطين وهم آرثر بلفور ومارك سايكس وهربرت صمويل فى لندن ، يشد أزرهم لوى برانداييس وفيلكس فرانكفورتر لدى البيت الأبيض الأمريكى فى واشنطون ٠

وقبل أن نطرق موضوع الوعود البريطانية لشريف مكة يجدر بنا أن نلقى نظـرة على مسرح الحوادث فى سـوريا (الشام) حيث بدأ جمال باشا تنفيذ سياسة العنف الرامية الى القضاء على الحركة العربية الوليدة ٠ وجمال باشا أحد الطغاة الثلاثة الذين حكموا الدولة العثمانية فى تلك الفترة بالحديد والنار ، أولهم أنور وثانيهم طلعت وثالثهم جمال ٠

---

(٥) عبر الشريف حسـين عن ثقته فى شرف الانجليز مع استثناء لويد جورج فى لقائه مع جورج أنطونيوس فى ربيع سنة ١٩٣١ ، انظر يقظة العرب ص ٢٧٥ ٠

(٦) أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ج ١ ص ٧٣

دخل أحمد جمال باشا دمشق فى الخامس من شهر ديسمبر عام ١٩١٤[٧] ليتسلم أعماله قائدا للجيش الرابع التركى وأخذ يقرب اليه قادة الحركة العربية الاصلاحية من أمثال عبد الكريم الخليل معتمد الشبيبة العربية فى الآستانة والدكتور عبد الرحمن شهبندر الذى اتخذه جمال طبيبا خاصا ومحمد كرد على وعبد الغنى العريسى • ويبدو أن سياسة التودد هذه كانت ذريعة للفتك بتلك الصفوة من قادة العرب الذين أخلصوا للدولة العثمانية ولم يتخلوا عنها فى أحلك الساعات اذ لم يكن يخطر على ذهن أحد أن عبد الكريم الخليل الذى قدم من الآستانة الى سوريا غداة اعلان التعبئة العامة فى أغسطس عام ١٩١٤ ليجمع الصف العربى على مؤازرة الدولة العثمانية[٨] سيكون جزاؤه الاعدام بأمر جمال باشا فى ٢١ أغسطس عام ١٩١٥ ولكن هذا ما حدث وكان اعتقال عبد الكريم الخليل فى أواخر شهر يونيو عام ١٩١٥ ايذانا ببدء حملة الابادة التى شنها جمال باشا لتصفية الحركة العربية وكان حصادها اعدام الرعيل الأول فى ٢١ أغسطس عام ١٩١٥ ومن بينهم عبد الكريم الخليل وصالح حيدر ومسلم عابدين ومحمد المحمصانى ومحمود المحمصانى وسليم عبد الهادى وغيرهم وفى ٦ مايو سنة ١٩١٦ فاضت أرواح الفوج الثانى من قادة العرب على أعواد المشانق التى نصبها جمال باشا فى بيروت ودمشق ومن هؤلاء — على سبيل المثال لا الحصر — عبد الحميد الزهراوى وشكرى العسلى وعبد الوهاب الانكليزى ورشدى الشمعة ورفيق رزق سلوم وعبد الغنى العريسى والشيخ أحمد طبارة ، وحكم بالاعدام غيابيا على السيد محمد رشيد رضا ورفيق العظم وفارس نمر وجميع زعماء حزب اللامركزية المقيمين فى مصر[٩] وقد روى الأستاذ أمين سعيد صورا من بطولة هؤلاء الشهداء وهم يستقبلون الموت على أيدى جلادى جمال باشا[١٠] •

---

(٧) المصدر نفسه ص ٥٨

(٨) المصدر نفسه ص ٥٧ — ٥٨

(٩) المصدر نفسه ص ٦٠ — ٦٢ .

(١٠) المصدر نفسه ص ٨٦

وجاء فى البيان الذى أصدره جمال باشا دفاعا عن فعلته اتهام لعبد الكريم الخليل ورضا الصلح بأنهما كانا يدبران عصيانا فى سوريا وفلسطين واتهم الكثرة من الذين نفذ فيهم حكم الاعدام بالانتماء الى حزب اللامركزية الادارية العثمانى فى القاهرة بالاضافة الى عدد قليل لا يجاوز بضعة أفراد اتهموا بأنهم كانوا يعملون تحت حماية فرنسا وارشادها ولمصلحتها من أمثال نخلة مطران ويوسف الهانى وهذه فئة لا صلة لها بقيادة الحركة العربية الذين كانوا يؤيدون الدولة العثمانية خوفا من وقوع البلاد العربية فريسة للدول الأوروبية[١١] ولكن جمال باشا وصفهم جميعا بالخيانة والعصيان دون تميز بين هؤلاء وأولئك وفى هذا يقول الأستاذ أمين سعيد :

« وثمة جريمة أخرى ارتكبها جمال باشا فقد وصم جميع الذين شنقهم ونفاهم أو حكم عليهم بالاعدام غيابيا بتهمة الخيانة للدولة والتآمر عليها ولئن صحت هذه التهمة بالنسبة لنخلة المطران ويوسف الهانى وبترو باولى وقد كانوا يمهدون لاستيلاء فرنسا على سورية فانها لا تصح بالنسبة للشهداء الآخرين الذين لم يقترفوا ذنبا ولم يرتكبوا خيانة يستحقون أن يحاكموا عليها فضلا عن اعدامهم لولا الرغبة فى التخلص منهم والقضاء على الحركة العربية فى أشخاصهم »[١٢] .

ويلاحظ أن عددا لا يستهان به من قادة الحركة العربية الذين أعدمهم جمال باشا أو حكم عليهم غيابيا كانوا من حملة الأقلام كعبد الغنى العريسى صاحب جريدة «المفيد» البيروتية والشيخ أحمد طبارة صاحب جريدة « الاتحاد العثمانى » بيروت ، وشكرى العسلى صاحب جريدة « القبس » الدمشقية وعبد الحميد الزهراوى الحموى صاحب جريدة « الحضارة » فى الآستانة والسيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » فى مصر والدكتور فارس نمر صاحب « المقطم » وداوود بركات محرر « الأهرام » .

---

(١١) انظر هامش (٥٩) من الفصل الثانى .

(١٢) أمين سعيد ، المصدر نفسه ص ٩٨

وقد روى جورج أنطونيوس أن الأمير فيصل بن الشريف حسين كان فى دمشق عندما بلغته أنباء اعدام الرعيل الثانى من الشهداء وكان مقيما مع آل البكرى فى ضاحية قرب دمشق « فقفز واقفا وانتزع الكوفية من على رأسه وقذف بها على الأرض وداسها بعنف وصاح : طاب الموت ياعرب »[١٣] .

أما فى الحجاز فقد كانت المؤامرات التى يدبرها وهيب باشا القائد التركى للاطاحة بالشريف حسين والقضاء على سلطانه عاملا آخر فى تهيئة المناخ لانفجار الثورة .

فى هـذه الظروف التى سادها الألم والترقب والتوجس والحذر ، بدأت مراسلات «حسين ــ ماكماهون» التى انتهت بانحياز الحركة العربية الى جانب الحلفاء واعلان الثورة على الأتراك .

ليس هذا مجال الحديث عن تلك المراسلات التى أثارت كثيرا من الخواطر والتعليق والنقد والتى ظلت موضع عناية الباحثين وقتا طويلا ولكن سنشير اليها هنا بالقدر الذى يساعد على ايضاح طبيعة الخداع الذى مارسه المسئولون البريطانيون فى بناء علاقاتهم السياسية مع الأمة العربية بعد دخول تركيا الحرب العالمية الأولى .

ويجدر بنا أن نذكر هنا أن قادة الحركة العربية فى دمشق كانوا على استعداد لاضرام الثورة فى سوريا[١٤] وبعد وصول فيصل عقب زيارته الى الآستانة فى عام ١٩١٥ واتصاله برجال الجمعيات العربية السرية فى دمشق فى سراى آل البكرى تم تنسيق العمل بين قادة الحركة العربية فى كل من الحجاز وســـوريا وكان هؤلاء القادة حريصين كل الحرص ألا يعلنوا ثورتهم الا بعد الحصول على ضمانات كافية بتحقيـــق استقلال البلاد العربية وقد أعد قادة حزبى الفتاة والعهد بيانا بالشروط التى رأوها ضرورية لقيام الثورة العربية[١٥] ولكنهم لم يظفروا بشىء

---

(١٣) جورج انطونيوس : المصدر نفسه ص ٢٨٥ .
(١٤) أمين سعيد ، المصدر نفسه ص ١٠٩
(١٥) George E. Kirk, A Short History of the Middle East, University Paperbacks, Methuen, 1963, pp. 125.

وكان ستورز وكلايتون على اتصال بعزيز على المصرى وغيره لاقناعهم بفكرة الثورة العربية دون أن يقدما الضمانات المطلوبة •

وقد مهد لمراسلات « حسين — ماكماهون » لورد كتشنر ، معتمد بريطانيا فى مصر قبيل الحرب ، فى اتصالات أجراها مع الأمير عبد الله ابن الحسين فى سنة ١٩١٣ كما قام الأمير عند قدومه القاهرة فى يوليو عام ١٩١٤ بالاجتماع بكتشنر وحضر الاجتماعين مستر ستورز وفى الاجتماع الثانى جرى حديث عن العلاقات العربية البريطانية أوضح فيه كتشنر أن سياسة بريطانيا نحو العرب تتحدد فى اطار العلاقات الودية التى تربط بريطانيا بالدولة العثمانية(١٦)، ولكن عندما لاحت نذر الحرب ووقفت تركيا مع ألمانيا بعث كتشنر من لندن الى رونالد ستورز برقية فى ٣١ أكتوبر عام ١٩١٤ ذكر فيها أن ألمانيا أغرت تركيا بالوقوف الى جانبها وشرت تأييدها بدراهم معدودات ، رغم استعداد بريطانيا وفرنسا وروسيا لضمان سلامة الامبراطورية العثمانية ، اذا لزمت تركيا الحياد فى الحرب القادمة وأن بريطانيا تضمن للعرب عدم التدخل فى الجزيرة العربية وتقدم لهم كل عون ضد العدوان الأجنبى اذا ساعد العرب بريطانيا فى الحرب (١٧) • وكانت هذه البرقية الثانية من كتشنر الى ستورز فقد سبقتها برقيته الأولى فى ٢٤ سبتمبر ١٩١٤ ، ومن ثم بعث ستورز رسولا اسمه على البزاز يحمل توجيهات كتشنر الى الشريف حسين ، الذى لم يعد بريطانيا شيئا ولم يقطع علاقاته بتركيا(١٨) • وتسلم الرسالة الأمير عبد الله وكان نصها :

« الى الشريف عبد الله بك • •

بما أن الدولة العثمانية قد ضربت بصداقتها التقليدية مع بريطانيا العظمى عرض الحائط وانضمت الى صفوف أعداء بريطانيا الألمان فان بريطانيا ترى نفسها فى حل من تلك التقاليد التى كانت تربطها بتركيا من القديم فهل أنتم وسمو والدكم المعظم على رأيكم الأول فى

---

(١٦) أمين سعيد ، المصدر نفسه ص ١٢٦

(١٧) Storrs, The Memoirs , p. 166.

(١٨) Storrs, Op. cit., pp. 163, 165, 166.

القيام بما يؤول الى استقلال العرب استقلالا تاما ؟ فان كنتم وسموه على ذلك الرأى الى الآن فان بريطانيا العظمى على استعداد لامداد الحركة العربية بكل ما هى فى حاجة اليه »[١٩] .

بعد هـذا الاتصال التمهيدى بفترة تقرب من ستة أشهر بدأت مراسلات « حسين ـ ماكماهون » عندما بعث الشريف حسين الى هنرى ماكماهون معتمد بريطانيا فى القاهرة رسالة مؤرخة فى ١٤ يوليو سنة ١٩١٥ ومعها رسالة شخصية من الأمير عبد الله الى ستورز تطالب بتأييد بريطانيا لاستقلال العرب وتقترح حدودا معينة للدولة العربيـة المستقلة ومن ناحية أخرى أذنت الحكومة البريطانية لحاكم عام السودان فى ابريل عام ١٩١٥ أن يعلن أن بريطانيا سوف تشترط فى معاهدة السلام بقاء الجزيرة العربية والأماكن الاسلامية المقدسة فى يد دولة مستقلة ذات سيادة[٢٠] .

لقد كانت الرسـالة الأولى المؤرخة ٢٨ رمضـان سنة ١٣٣٣ هـ (١٤ يوليو سنة ١٩١٥ م) من الشريف حسين الى هنرى ماكماهون واضحة فى تحديد الأهداف العربية وحرص العرب على الفوز بحريتهم المطلقة ومطالبة بريطانيا أن تعترف « باستقلال البـلاد العربية من مرسين ـ أدنة حتى الخليج الفارسى شمالا ، ومن بـلاد فارس حتى خليج البصرة شرقا ومن المحيط الهندى للجزيرة جنوبا ـ يستثنى من ذلك عدن التى تبقى كما هى ـ ومن البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى سيناء غربا على أن توافق انجلترا أيضا على اعلان خليفة عربى على المسـلمين »[٢١] .

وردا على هـذه الرسالة استهل ماكماهون رسالته الى الشريف

---

(١٩) مذكرات الملك عبـد الله ، الطبعة الثانية ، عمان ، الأردن ، ١٩٤٧ ص ١٣٨

(٢٠) Storrs, op. cit., p. 166.

(٢١) جامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين القاهرة ، ١٩٥٧ ـ المجموعة الأولى (١٩١٥ ـ ١٩٤٦) وثيقة رقم (١) من الشريف حسين الى السير هنرى ماكماهون ص ٧ ـ ٨

حسين المؤرخة ١٩ شوال ١٣٣٣ هـ (٣٠ أغسطس ١٩١٥ م) بهذه المقدمة :

« الى السيد الحسيب النسيب سلالة الأشراف وتاج الفخار وفرع الشجرة المحمدية والدوحة القرشية الأحمدية صاحب المقام الرفيع والمكانة السامية السيد ابن السيد والشريف ابن الشريف السيد الجليل والمبجل دولتلو الشريف حسين سيد الجميع أمير مكة المكرمة قبلة العالمين ومحط رحال المؤمنين الطائعين عمت بركته الناس أجمعين » ثم خلص الى لب الموضوع فأوضح لشريف مكة أن بريطانيا ترحب باسترداد الخلافة الى يد عربى صميم « من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة » ولكنه اعترض من أول وهلة على الحدود التى اقترحها الشريف حسين فى رسالته المؤرخة ١٤ يوليو سنة ١٩١٥ للدولة العربية المستقلة[٢٢] وكانت تلك الحدود طبقا لما جاء من الهيئة المركزية لحزب العربية الفتاة [٢٣] فى سوريا . وقد كان ماكماهون حذرا فى تقديم اعتراضه لأنه اكتفى فى تلك المرحلة بتوجيه نظر الشريف حسين الى أن مسألة الحدود سابقة لأوانها « وأما من خصوص مسألة الحدود والتخوم فالمفاوضة فيها تظهر أنها سابقة لأوانها وتصرف الأوقات سدى فى مثل هذه التفاصيل فى حالة أن الحرب دائرة رحاها ولأن الأتراك أيضا لا يزالون محتلين لأغلب تلك الجهات احتلالا فعليا » [٢٤] .

لم يقبل الشريف حسين تحفظ ماكماهون حول مسألة الحدود ، بل أكد له فى رسالته الثانية (٢٩ شوال ١٣٣٣ هـ — ٩ سبتمبر ١٩١٥ م) أن الحدود المقترحة هى مطالب شعب أجمع على أن حياته فى تلك الحدود[٢٥] لكن ماكماهون أصر على تحفظات حكومته وذكر للشريف حسين أن مرسين واسكندرونة وبعض الأقسام السورية الواقعة غربى دمشق وحمص وحماة وحلب لا يمكن أن يقال عنها انها عربية محضة وأنه يجب أن تستثنى من الحدود المقترحة وأن بريطانيا مستعدة — على أساس هذه

---

(٢٢) المصدر نفسه ، الوثيقة الثانية ص ٩
(٢٣) مذكرات الملك عبد الله ص ١٣٩
(٢٤) جامعة الدول العربية : المصدر نفسه ص ٩
(٢٥) أمين سعيد : المصدر نفسه ص ١٣٣ — ١٣٤

التعديلات — أن تعترف باستقلال العرب وتقدم لهم المساعدة فى حدود اقتراحات شريف مكة[٢٦] وعلى أن يكون ذلك فى الأراضى التى تستطيع انجلترا العمل فيها بحرية دون أن توقع ضررا بحليفتها فرنسا !! اننا نلمح فى تحفظات ماكماهون ما ينبىء عن أمر خطير تضمره بريطانيا ولا تود أن تبوح به فى ذلك الوقت وقد وضح فيما بعد أن هذا الأمر هو تقسيم الأراضى العربية بين بريطانيا وحليفتها فرنسا وفقا لاتفاق « سايكس — بيكو » ووعد بلفور باتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود فكان — كما وصف بحق — وعد من لا يملك لمن لا يستحق ، ولكن هذه الحقائق المذهلة ظلت حتى سنة ١٩١٧ سرا دفينا عن شريف مكة الذى قبل أخيرا تعديلات ماكماهون واعترف بأنه تساهل فى قبولها لتجنب كل ما من شأنه أن يسىء الى تحالف انجلترا وفرنسا والاتفاق المعقود بينهما[٢٧] .

وفى آخر رسالة من ماكماهون الى الشريف حسين ، مؤرخة فى ١٠ مارس سنة ١٩١٦ أبلغ المندوب السامى البريطانى شريف مكة « أن حكومة جلالة الملك صادقت على جميع مطالبكم » . (على أساس التعديل)[٢٨] وفى ١٠ يونيو سنة ١٩١٦ أعلن الشريف حسين الثورة على الدولة العثمانية وأطلق بنفسه الرصاصة الأولى على قلعة الأتراك فى مكة ايذانا باعلان الثورة[٢٩] .

لم يكن الخلاف بين العرب وبريطانيا على حدود الدولة العربية المستقلة يدور حول مسألة شكلية وما كان خلافا على التفاصيل كما زعم ماكماهون فى احدى رسائله ولكنه اختلاف فى المبدأ والأهداف : العرب يتحدثون عن حرية مطلقة ودولة عربية شاملة تستظل بخلافة عربية ، وبريطانيا تظهر عطفا على العرب وتخفى نواياها فيما تعتزم القيام به

---

(٢٦) من ماكماهون الى الشريف : القاهرة ٢٤ أكتوبر ١٩١٥ م / ١٥ ذى الحجة سنة ١٣٣٣ هـ ، أمين سعيد : المصدر نفسه ص١٣٦.

(٢٧) من الشريف الى ماكماهون : مكة : ٢٥ صفر ١٣٣٤ هـ/ اول يناير ١٩١٦ ، أمين سعيد : المصدر نفسه ص ١٤١ — ١٤٢

(٢٨) من ماكماهون الى الشريف ، ١٠ مارس ١٩١٦ ، أمين سعيد : المصدر نفسه ص ١٤٣

(٢٩) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ص ٢٢٩

رعاية لمصالحها فى الشرق الأوسط والهند وحرصا على مصلحة حليفتها فرنسا ، وعندما تتحدث عن عونها للعرب فان حديثها يتسم بالغموض •

كان العرب يتطلعون الى التحرر واحياء الخلافة فى دارهم بينما كانت بريطانيا تخطط لاحتواء الحركة العربية الوليدة وتحديد مسارها • كانت مهمة ماكماهون فى مصر غداة اندلاع الحرب العالمية الأولى العمل على عزل العرب عن تركيا[٣٠] التى استنفرت العالم الاسلامى للجهاد ضد الحلفاء ووضعت بريطانيا فى قفص الاتهام بأنها تعادى المسلمين وتحتل ديارهم • ومن السخرية أن تكون الحكومة التى حرضت العالم الاسلامى على الجهاد هى حكومة الأتراك الاتحاديين ، حكومة أنور باشا ، ولكن لم يكن فى وسع بريطانيا أن تتجاهل هذه الدعوة الخطيرة ، لأن مركزها فى مصر والهند كان مبعثا للحرج • انها تخشى غضبة ستين مليوناً من المسلمين فى الهند[٣١] وتحذر عطف دعاة الوحدة الاسلامية فى مصر وتأييدهم لدولة الخلافة العثمانية ، وفى رأى ستورز أن مخاوف بريطانيا من الوحدة الاسلامية كان لها أساس من الحقيقة حتى اندلاع الحرب[٣٢] • هذا وكانت المقترحات لتشجيع الشريف حسين على الانفصال عن الدولة العثمانية تغمر وزارة الخارجية البريطانية عن طريق اللورد كرومر من ريجنالد وينجت فى الخرطوم[٣٣] وكلايتون فى القاهرة وكان وزير خارجية بريطانيا لورد كيرزون فى ربيع سنة ١٩١٥ يبدى ارتيابه فى جدوى تلك المقترحات ولكن ممثلى الحكومة البريطانية كانوا يعدون أنفسهم لمواجهة شعور عدائى واسع النطاق فى العالم الاسلامى نتيجة اعلان الجهاد من جانب تركيا وما قد ينجم عن ذلك من

---

(٣٠) Elie Kedourie, The Chatham House Version and other Middle Eastern Studies, London, 1970, p. 14.

(٣١) Storrs, op. cit. p. 92.

(٣٢) Storrs op. cit. p. 92.

(٣٣) Kedourie, op. cit. p. 14, Quoting Wingate Papers, File 141/4 .

نتائج فى مجال الأمن الداخلى والعمليات الحربية[٣٤] ومن ثم كانوا يسعون الى احداث انقسام فى الصف الاسلامى ، وتشجيع شريف مكة على الثورة ضد دولة الخلافة كان خطوة هامة فى تحقيق ذلك الانقسام وكان كلايتون ووينجت يؤكدان للدوائر البريطانية المعارضة فى لندن والهند أن الحسين بن على يتمتع بنصيب وافر من مقومات الخلافة وأنه أصلح من يقوم بهذه المهمة ، بل كان وينجت يرى أن مشروع الوحدة العربية فى ذلك الوقت يصلح ترياقا مضادا لدعوة الوحدة الاسلامية التى كانت تقودها الامبراطورية العثمانية[٣٥] وأن الحركة العربية من شأنها أن تحفظ توازن القوى فى قلب العالم الاسلامى وكان وينجت يتصور أنه فى الامكان اقامة اتحاد للدول العربية شبه المستقلة تحت رقابة أوروبية وحماية بريطانية .

وكان المسئولون البريطانيون فى الهند يخشون عاقبة احياء الخلافة فى العالم العربى أو تكوين اتحاد عربى ، ولكن وينجت ـ يؤيده كلايتون ـ كان يرد على أولئك المتشككين بأنه لا ضرر من قبول مقترحات الشريف حسين ، فاذا وئدت الدولة العربية فى مهدها فان كافة الوعود البريطانية تسقط تلقائيا ، واذا تحققت الفكرة فان لديهم من الضمانات الكافية ما يجعلهم قادرين على كبح جماح الدولة الجديدة وتفتيتها حتى لا تتحول الى مصدر للخطر الذى تخشاه حكومة الهند[٣٦] .

ومن الوجهة الاستراتيجية ، كان ممثلو بريطانيا فى الشرق الأوسط (القاهرة) يدركون أن الثغرة التى يستطيع الأتراك أن ينفذوا منها لتهديد مصر ـ وقطع شريان مواصلات الامبراطورية البريطانية ـ هى صحراء سيناء ، لأن حدود مصر الشمالية من ناحية البحر المتوسط كانت آمنة لتفوق بريطانيا فى السيطرة على البحار ، وكانوا يدركون أيضا أن الوسيلة الوحيدة للعبور تجاه مصر من الحدود الشرقية هى سفينة

---

(٣٤) Kedourie, op. cit. p. 16.

(٣٥) Kedourie, op. cit. p. 17, Quoting Wingate Papers, File 139/6 .

(٣٦) Kedourie, op. cit. pp. 18 , 19.

الصحراء (الجمال) ، وأن عرب الحجاز هم أقدر الناس على تعبئة قوافل الصحراء وأساطيلها[٣٧] ، ومن هنا كان اهتمامهم بحياد الجزيرة العربية فى الحرب ، اذا تعذر ادخالها فى تحالف مع بريطانيا ضد تركيا .

ويبدو أن الدوائر السياسية فى لندن اقتنعت بوجهة نظر ممثليها فى القاهرة لتأييد الحركة العربية باعتبارها حركة قومية لا اسلامية على أساس أن الحركة القومية أقل خطرا من الحركة الاسلامية[٣٨]. ومع أن تأييد بريطانيا للحركة العربية كان محدودا فانها تدافع عن موقفها ازاء الشريف حسين وتبرىء نفسها من تهمة الحنث بعهودها ، وفى هـذا الصدد يؤكد وينجت أنه لم يكن مؤمنا بقيام مملكة عربية موحدة بقيادة الشريف حسين وأن أية فكرة من هـذا النوع كانت بعيدة كل البعد عن تفكيره ، ويقول انه حتى اذا تمت الموافقة على كافة الادعاءات الفرنسية فى سـوريا فانه لا يمكن اتهام بريطانيا بأنها نقضت عهدها مع الشريف حسين بدرجة خطيرة[٣٩] ، ويقول كلايتون انهم كانوا حريصين آلا يلزموا أنفسهم بشىء فيما يتعلق بمطالب الشريف حسين . ويدلى د.ج. هوجارث مدير المكتب العربى التابع للجيش البريطانى فى القاهرة بعد ذلك بفترة ، أنه لم يكن هنـاك سوى عدد قليل يعتقد آن الشريف كان المتحدث باسم أمه عربية متحدة توشك أن تنهض من أنقاض الحرب وأنه لم يكن لديهم اعتقاد بأن هـذه الدولة ستقوم سواء أكانت برئاسة الشريف أم بزعامة غيره ومن ثم فانهم لم يتقدموا بأية ضمانات واضحة ولا بوعد للشريف أو لعربى غيره وأن الوعدة الوحيد الذى قطعوه هو تحرير جزيرة العرب من الأتراك[٤٠] .

أما ستورز فانه يعلن «أن الشريف حسين وأهل الحجاز كان يكفيهم خروج الأتراك من بلادهم وحصولهم على ضمانات ضد العدوان الخارجى على أماكنهم المقدسة (مكة والمدينة) مع استقلال موطنهم الأصلى

---

(٣٧) Storrs, op. cit. p. 162.
(٣٨) Kedourie, op. cit. p. 20.
(٣٩) Kedourie, op. cit., p. 22.
(٤٠) Kedourie, op. cit. p. 22.

وهو الحجاز فاذا شاءوا أن يسموا هـذه الرقعة وهـذه الدولة «خلافة» فهذا شأنهم وحدهم ، ولكن الشريف كان على صلة — عن طريق ابنه فيصل — بالثوار فى سوريا وكان يتطلع الى رياسة مملكة عربية شاملة وهو يعلم أنه لا حق له فى هـذا[٤١] .

من هذا المنطق كانت بريطانيا لا ترى فى مراسلات « حسـين — ماكماهون » ما يحول بينها وبين تفاق مع فرنسا على تقسيم الشرق العربى بينهما الى مناطق للنفوذ المباشر ومناطق للتسلط السـياسى والاقتصادى ، بل لم تكن ترى ما يمنعها من النظر فى أمر اقتطاع فلسـطين من الوطن العربى لتصبح فى المستقبل القريب وطنا قوميا لليهود ، ولكنها لم تجرؤ على اعلان موقفها هـذا لقادة الأمة العربية آنذاك بل وجدت فى تلهى العرب بوعود ماكماهون شاغلا لهم طوال فترة الحرب ، ومن ثم بدأت خلال شـهرى ابريل ومايو سنة ١٩١٦ المحادثات السرية بـين بريطـانيا وفرنسـا وروسـيا وكانت نتيجتها اتفـاق «سايكس — بيكو»[٤٢] الذى قام على مبدأ تصفية الامبراطورية العثمانية وقسمت بمقتضاه الأقطار العربية فى الهلال الخصيب بين بريطانيا وفرنسا فكان نصيب فرنسـا منطقة رمز اليها باللون الأزرق شـملت الشريط الساحلى لسوريا بما فى ذلك لبنان حيث خولت فرنسـا سلطة انشـاء ادارة مباشرة أو غير مباشرة ومنحت منطقة نفوذ داخل سوريا (حرف أ) شملت دمشق وحمص وحماة وحلب . أما بريطانيا فكـان نصيبها منطقة ما بين النهرين فى العراق وحيفا وعكا على البحر المتوسط وهى ما رمز اليها باللون الأحمر ، ولبريطانيا أن تقيم فيها ادارة مباشرة أو غير مباشرة بالاضافة الى منطقة نفوذ (حرف ب) داخل العراق .

---

(٤١) Storrs, op. cit., p. 167.

(٤٢) انظر النص الكامل للاتفاق فى :

E. L. Woodward and R. Butler

Documents on British Foreign Policy, First Series, 1919 — 1939, H. M. S.O., London, 1952 Volume 4, pp. 246 - 251.

وانظر ايضا : جامعة الدول العربية الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين وثيقة رقم (٢٣) ص ٨٤ — ٨٦ .

ومما نص عليه الاتفاق تأسيس دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربيـــة تخضع لرئيس عربى فى منطقتى (أ،ب) على أن يكون لفرنسا نفوذ مماثل فى منطقة (ب) وانشـــاء دولة فى المنطقة ذات اللون الأسمر (فلسطين) يعين شكلها بعد استشارة روســيا وبقية الحلفاء وشريف مكة •

وصف أنتونى ناتنج[٤٣] اتفاق « سايكس ــ بيكو » بأنه كان وثيقة مخجلة « لأن بريطانيا ما كادت تنهى محادثاتها مع شريف مكة حتى شرعت فى محادثات سرية مع فرنســا تستهدف تحقيق مطامع الدولتين فى الهلال الخصيب باقتسام سوريا والعرق ، ولمـــا تمضى ستة أسابيع على آخر رســـالة من ممثل بريطانيا فى مصر هنرى ماكماهون الى الشريف حسين» ويستطرد ناتنج قائلا « ان بريطانيا أخفت أنباءالاتفاق عن الشريف حسين مع أن سايكس وبيكو زاراه فى جدة بعد سنة من تاريخ توقيع الاتفاق[٤٤] وبعد أن كشف البلاشفة فى روسيا أمر الاتفاق (الذى أذاعه جمال باشا فى بيروت فى ديسمبر ١٩١٧) واستوضح شريف مكة بريطانيا حقيقة الأمر ، أصدر آرثر بلفور وزير الخارجيـــة البريطانى توجيهاته الى وينجت فى القاهرة أن ينقل الى الشريف حسين أن الأتراك هم الذين شوهوا الغرض الحقيقى للاتفاق وأغفلوا النصوص الخاصة باستطلاع رأى الشعوب التى يعنيها الأمر ورعاية مصالحها » ويعلق ناتنج على هذا التعبير بأنه كان محض اختلاق « وأن بلفور كذب على الشريف حسين الذى أحسن الظن بوزير خارجية بريطانيا وصدقه فيما قال دون أن يطلب الاطلاع على نصوص الاتفاق ولو أنـــه فعل ذلك لتبين له أن الاتفاق لم ترد فيه كلمة واحدة عن موافقة الشعوب التى يعنيها الأمر أو استطلاع رأيها »[٤٥] •

---

(٤٣) Anthony Nutting أحـــد رجال السياسة البريطانية ومن المهتمين بالدراسات والشئون العربية . كان وزير دولة للشئون الخارجية فى حكومة أنتونى ايدن سنة ١٩٥٦ وقد استقال منها على اثر غزو بريطانيا لمنطقة قناة السويس بالتضامن مع فرنسا واسرائيل فى أوائل نوفمبر ١٩٥٦ ، بعد تأميم الشركة العالمية لقناة السويس فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦

(٤٤) Anthony Nutting, The Arabs , A Mentor Book, New York 1964 , p. 290.

(٤٥) Nutting , op. cit, p. 291 .

وكان من المسائل التى ذكرها وينجت دفاعا عن موقف بريطانيا وحفاظا على ماء وجهها أن الوثائق التى نشرت لم تكن اتفاقا مبرما ، ثم ذكر أن الوضع السياسى تغير تغيرا تاما بعد انفجار الثورة العربية والنجاح الذى حققته وبعد انسحاب روسيا من الحرب ، وقد فسر بيان وينجت بأن بريطانيا أصبحت على استعداد لعدم اتخاذ اتفاق« سايكس — بيكو» أساسا للتسوية الاقليمية بعد نهاية الحرب[٤٦]غير أن الدكتور محمد أنيس لا يرى خلافا أساسيا بين اتفاق بريطانيا مع حلفائها « سايكس — بيكو » وبين اتفاق « حسين — ماكماهون » وهو لا يوافق بعض المؤرخين الذين يتهمون السياسة البريطانية بأنها كانت تخدع العرب من البداية بأن تعقد مع الشريف حسين اتفاقا تعلم مقدما أنها لن تنفذه بسبب اتفاقها مع حلفائها فيقول « والذى يجب أن نؤكده هنا أن السياسة البريطانية كانت ترحب بالفعل بخلق دولة عربية كبرى فى المنطقة شريطة أن تخضع للنفوذ البريطانى وهو أمر ارتضاه زعماء العرب فى ذلك الوقت » [٤٧] وقد يكون وصف الدكتور أنيس صحيحا لسياسة بريطانيا فيما يتعلق بالدولة العربية وفقا لما جاء فى رسائل ماكماهون ، ولكن تأكيده أن زعماء العرب وافقوا منذ البداية على تلك السياسة لا يخلو من افراط فى التعميم وتجاهل لبعض الحقائق كما أنه ينطوى على نوع من الظلم لقادة الأمة العربية فى ذلك الوقت . اننا لا نجد فى رسائل الشريف حسين الى ماكماهون ما يؤيد رأى الدكتور أنيس فى هذا الصدد وليس هناك قط ما يثبت أن زعماء العرب وافقوا من البداية على خلق دولة عربية خاضعة للنفوذ البريطانى دع عنك خضوعها للاحتلال الفرنسى واقتطاع فلسطين من لوطن العربى بل ان التصريحات التى أدلى بها ممثلو بريطانيا فى الشرق الأوسط والذين أغروا الشريف حسين بالثورة — وينجت وكلايتون وستورز — لتدل دلالة واضحة على أنهم رفعوا شعار الدولة العربية المستقلة وهم لا يؤمنون بها فى قرارة أنفسهم ولا يجدون الشجاعة الكافية للجهر بما يضمرون أمام قادة

---

(٤٦) P. M. Holt, Egypt and the Fertile Crescent, Longmans, London, 1966, p. 275.

(٤٧) محمد انيس ، المصدر نفسه ص ٢٧٥

الأمة العربية ، بينما كانوا فى الوقت ذاته يؤكدون لرؤسائهم فى لندن أن لديهم من الضمانات ما يجعلهم قادرين على كسر شوكة هـذه الدولة اذا اتضح أنها تمثل خطرا حقيقيا على مصلحة بلادهم • أما اذعان العرب وارغامهم من جانب بريطانيا وحلفائها بعد نهاية الحرب على قبول التسوية التى أخضعت بلادهم للنفوذ البريطانى الفرنسى الاسرائيلى، فان ذلك تم عن طريق القوة والاكراه والتهديد لا عن رضا واختيار من جانب زعماء العرب •

لقد كان اتفاق «سايكس ــ بيكو» بمثابة انذار للأمة العربية ألا تسرف فى الآمال المعقودة على الوعود البريطانية كما وردت فى رسائل ماكماهون ولكن قادة العرب لم يفقدوا بعد ثقتهم فى بريطانيا وظلوا يأملون أن تعيد النظر فى سياستها وتحترم كلمتها ، ولكن بريطانيا رأت أن تشغل العرب بمزيد من الوعود[٤٨] خلال عام ١٩١٨ بعد أن سددت اليهم ضربة أخرى باصدار وعد بلفور فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ وهو كتاب موجه من آرثر بلفــور وزير خارجيــة بريطانيا نيابة عن حــكومته ، الى لورد رونشيلد[٤٩] وقد جاء فيه :

« عزيزى لورد رونشيلد ••

يسرنى جــدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته التصريح التالى الذى ينطوى على العطف على أمانى اليهود الصهيونية وقد عرض على الوزارة وأقرته :

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هــذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضير الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى

---

(٤٨) انظر : جامعة الدول العربية ، الوثائق الرئيسية فى قضــية فلسطين ص ٧٧ ــ ٨٣ وثائق رقم ١٧ ملحق « و » ، ٢٠ ملحق « ز » ــ ٢٢ ملحق « ط » وملحق « د » .

(٤٩) Stein, The Balfour Declaration p. 548.

فلسطين ولا الحقوف أو الوضع السياسى الذى يستمتع به اليهود فى البلدان الأخرى » •

كان اصدار وعد بلفور تتويجا لجهود قادة الحركة الصهيونية فى لندن ومانشستر [٥٠] بقيادة حاييم وايزمان وقد رأينا أن التمهيد لوعد بلفور بدأ من شهر نوفمبر سنة ١٩١٤ فى رسالة «C.P. Scott» الى لويد جورج التى ربطت بين مصلحة الصهيونية والمصالح البريطانية ممثلة فى حمايه قناة السويس ولكن النشاط الحقيقى لقادة الصهيونية فى سبيل الحصول على وعد رسمى بدأ منذ مطلع عام ١٩١٦ عندما كونت أول لجنة رسمية فى يناير ذلك العام من وايزمان وسوكولوف وجوزيف كوين ودكتور جاستر وهربرت بنتوتش بالتعاون الوثيق مع أسرة روتشيلد وهربرت صمويل وأحد هاعام [٥١] وتلا ذلك نشاط صهيونى على كافة المستويات امتد الى بداية سنة ١٩١٧ وكان من نتائجه مذكرة اللجنة الصهيونية التى قدمها وايزمان الى السير مارك سايكس للحصول على اعتراف رسمى من الحكومه البريطانية بالجالية اليهودية فى فلسطين مع ايضاح أن المقصود بالجالية اسكان اليهود المقيمين فى ذلك الوقت والمهاجرين الذين يلحقون بهم فى المستقبل ثم توالت الاتصالات مع المسئولين البريطانيين وحكومات أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية لاصدار وعد بلفور على النحو الذى سيرد تفصيله فى الحديث عن الصهيونية وهكذا وجدت الأمه العربية نفسها بين شقى الرحى فى عام ١٩١٩ ، بين زحف فرنسى مسلح يوشك أن يبدأ لاحتلال سوريا تنفيذا لاتفاق «سايكس — بيكو» وزحف صهيونى محسوب الخطى لاحتلال فلسطين فى المدى البعيد ، تنفيذا لوعد بلفور • أما شعب فلسطين فقد أطلق عليه اسم «الطوائف غير اليهودية» التى لن تضار حقوقها المدنية والدينية وهذا يعنى أنه لا مجال للحديث عن الحقوق السياسية للشعب العربى فى

---

(٥٠) انظر : أسعد رزوق ، اسرائيل الكبرى ، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث بيروت ١٩٦٨ ص ٢٢٢ — ٢٣١

(٥١) Chaim Weizmann, Trial and Error, Hamish Hamilton, London 1950, p. 233.

فلسطين وهو صاحب الكثرة العددية الساحقة آنذاك وصاحب الأرض التى يراد انتزاعها لتنتقل ملكيتها الى القلة الوافدة من اليهود[٥٢] !!

وبعد أن لاحت تباشير السلام باعلان الهدنة مع ألمانيا (نوفمبر ١٩١٨) تعلقت آمال الأمة العربية بمؤتمر الصلح الذى عقد جلسته الأولى فى باريس فى ١٨ يناير سنة ١٩١٩ واستقبل العالم فى تفاؤل وثقة بيان الرئيس الأمريكى ودرو ويلسون الذى أعلن فيه شروطه الأربعة عشر فى ٨ يناير سنة ١٩١٩ لاقرار السلام العالمى[٥٣] ، على أساس من الاحترام لحرية الشعوب ونبذ الدبلوماسية التى تعمل فى الظلام (المعاهدات السرية) ، وكانت الأمة العربية أكثر تفاؤلا لأن جيشها المظفر شارك الحلفاء فى اجلاء ما تبقى فى الجزيرة العربية من فصائل الجيش التركى المندحر وزحف الأمير فيصل على رأس جيش التحرير صوب سوريا فدخل دمشق[٥٤] فى مطلع أكتوبر سنة ١٩١٨ فاستقبله الشعب والأعيان والعلماء استقبالا حارا ثم أعلن تشكيل الحكومة السورية فى ٥ أكتوبر سنة ١٩١٨ « حكومة دستورية عربية مستقلة استقلالا مطلقا لا شائبة فيه باسم مولانا السلطان حسين شاملة جميع البلاد السورية »[٥٥] وتوجهت القوات العربية لتحرير الأجزاء الأخرى فى سوريا الشمالية فدخل الجيش العربى حلب بقيادة نورى السعيد فى ٢٥ أكتوبر ١٩١٨ وبعد وصول فيصل مدينة حلب فى ٦ نوفمبر

---

(٥٢) أجرت حكومة الانتداب البريطانى فى فلسطين تعدادا للسكان فى اكتوبر سنة ١٩٢٢ وقسمت السكان الى طوائف دينية فكان عدد اليهود وفقا للتعداد ٨٣٫٧٩٠ وعدد أفراد الطوائف غير اليهودية ٦٦٨٫٢٥٨ منهم ٥٨٩٫١٧٧ مسلمون و ٧١٫٤٦٤ مسيحيون و ٧٫٦١٧ ينمون الى طوائف أخرى وجملة عدد السكان ٧٥٢٫٠٤٨ انظر : Palestine Royal Commission Memoranda Prepared by the Government of Palestine, H. M. S. O. London, 1937, p. 2.

(٥٣) David Thomson, Europe Since NapoleonSec. Ed. Longmans, 1963, pp. 575 - 593.

(٥٤) راجع قصة دخول دمشق فى : E. Kedourie, op. cit. pp. 33 - 47.

(٥٥) البلاغ الرسمى بتوقيع الشريف فيصل فى ٢٧ ذى الحجة سنة ١٣٣٦ هـ الموافق ٥ اكتوبر سنة ١٩١٨ ، أمين سعيد : المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢ — ٣

١٩١٨ صدر التصريح «البريطانى ــ الفرنسى» وأشاد فيصل بهذا التصريح فى خطاب وجهه الى أهل سوريا ، وكان مما ورد فى ذلك التصريح :

« ان الغرض الذى ترمى اليه فرنسا وبريطانيا العظمى من نهجهما فى الشرق فى الحرب التى آثارتها أطماع ألمانيا هو التحرير التام النهائى للشعوب التى طال اضطهاد الترك لها واقامة حكومات وادارات قومية تستمد سلطتها من الاختيار الحر والارادة المستقلة للأهالى الوطنيين »[٥٦] .

وأخطرت الحكومة العربية فى دمشق جميع المدن السورية أنها تسلمت مقاليد السلطة فى البلاد وتم تعيين شكرى باشا الأيوبى حاكما عاما على بيروت ولبنان ولكن شبح اتفاق «سايكس ــ بيكو» أخذ يلوح فى الأفق عندما أنشأ المارشال اللنبى قائد القوات البريطانية (الحملة المصرية) فى ٢٣ أكتوبر سنة ١٩١٨ ثلاث مناطق ادارية فى سوريا فسميت فلسطين غربى نهر الأردن أرض العدو المحتلة الجنوبية Occupied Enemy Territory (South) وأطلق على لبنان والشريط الساحلى شمال فلسطين اسم أرض العدو المحتلة الغربية «O.E.T. West» وما تبقى من المناطق الداخلية لسوريا وشرق الأردن سميت أرض العدو المحتلة الشرقية[٥٧] «O. E. T. East» .

أثار تحرك الجيش العربى فى الأجزاء الشمالية الساحلية من سوريا قلق فرنسا التى أخذت تطالب بنصيبها من الأسلاب فى الهلال الخصيب استنادا الى اتفاق «سايكس ــ بيكو» ، فطالبت باحتلال دمشق واحتجت على تعيين شكرى الأيوبى حاكما على بيروت بل غزت القوات الفرنسية بيروت فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩١٨ وأنزلت العلم العربى ثم واصلت زحفها فاحتلت اللاذقية واسكندرونة وأنطاكية[٥٨] .

---

(٥٦) جامعة الدول العربية ؛ المصدر نفسه وثيقة رقم ٢٢ ملحق « ط » ص ٨٣

(٥٧) Holt, op. cit. p. 280.

(٥٨) امين سعيد ، المصدر نفسه ص ١٢

كانت هـذه التطورات مقدمات لمـا ينتظر الأمة العربيـة من مواجهات خطيرة فى الجبهة السورية ، وفى الوقت ذاته اكتمل الاعداد لمؤتمر الصلح فى باريس واجتمع لويد جورج وكليمنصو فى لندن فى الأيام الأولى من شـهر ديسمبر سنة ١٩١٨[٥٩] لتنسيق سياستهما فى مؤتمر الصلح وكانت نتيجة اللقاء اتفاق الدولتين ـ بريطانيا وفرنسا ـ على تعديل اتفاق «سايكس ـ بيكو» لمصلحتهما ومصلحة الصهيونية فتم التخلى عن فكرة تدويل فلسـطين واعترفت بريطانيا بتأييد المطامـع الفرنسـية (أو ما سمته بالحقوق الفرنسية)[٦٠] فى سوريا وكيليكيا وذلك فى مقابل أعتراف فرنسا بسلطة بريطانيا على الموصل فى العراق وعلى فلسطين وهـذا الاتفاق يعنى أن الطريق أصبح ممهدا لتقرير مصير الأقاليم العربية فى الهلال الخصيب فى مؤتمر الصلح وفقا لنظام الانتداب الذى ابتدع فى أعقاب الحرب بموجب المـادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الأمم (والميثاق جزء من معاهدة فرساى) • ويعتبر الانتداب تجربة جديدة فى تحديد علاقات الدول الحاكمة بالشعوب المحكومة وهو فى جوهره محاولة للتوفيق بين مطامع الدول المنتصرة وآمال الشـعوب المغلوبة على أمرها التى وعدها الحلفاء حق تقرير المصير عندما كانت رحى الحرب دائرة • أما بالنظر للأقاليم العربية التى فرض عليها هـذا النظام (سـوريا ـ العراق ـ فلسـطين) فهو لا يعدو أن يكون تقنينا للاحتلال البريطانى والفرنسى وتمهيـدا لاقامة الوطن اليهودى فى فلسطين • واطلاق يد بريطانيا فى فلسطين بموافقة فرنسا كان يعنى أن الصعاب أمام انشاء الوطن القومى لليهود ـ على الصـعيد الأوروبى ـ قد ذللت تماما ، ومع أن الرئيس الأمريكى ويلسون لم يكن يعطف كثيرا على مساعى بريطانيا وفرنسا لتأمين مصالحهما فى الهلال الخصيب فانه كان ملتزما بتحقيق مطامع الصهيونية فى فلسطين

---

(٥٩) Holt op. cit. p. 280 - 281.

(٦٠) Holt op. cit. p. 281.

بحـــكم صلته الوثيقة ببراندايس وفرانكفورتر[٦١] • لقد تعلقت آمال العرب بمؤتمر الصلح وكان يضم ممثلين لستة وثلاثين دولة ، ولكن المؤتمر لم يكن يملك من الأمر شيئا لأن القرارات الحقيقية كانت تصدر من الثلاثة الكبار[٦٢] ، ودرو ويلسون ولويد جورج وكليمنصو ، وهذا ما يفسر لنا موقف المؤتمر من القضية العربية فى مصر والهلال الخصيب وهو موقف أقل ما يوصف به أنه لم يراع مقتضيات العدل والانصاف•

توجه الأمير فيصل الى باريس لاقناع المؤتمر بعدالة القضـــية العربية فوصل مرسيليا فى ٢٦ نوفمبر عام ١٩١٨ ليواجه اعتراض فرنسا التى أعلنت أنها لا تعترف به حتى بصفته ممثلا لوالده الشريف حسين ، ملك الحجاز ، فكان ذلك ارهاصا لمواجهة ديبلوماسية تنتظر العرب على الساحة الأوروبية ، ولم يجد فيصل بدا من الذهاب الى لندن والعودة الى باريس فى ٦ يناير سنة ١٩١٩ بعد أن خففت فرنسا من غلوائها استجابة لضغط الحكومة البريطانية وسمح له بحضور المؤتمر فقـــدم مذكرة فى ٢٩ يناير ١٩١٩ طالب فيها بالاستقلال الكامل للعرب ووحدتهم فى الأقاليم السورية والاعتراف لهم بحق تقرير المصير استنادا الى التصريح البريطانى — الفرنسى (٧ نوفمبر ١٩١٨) وعزز هذه المطالب بخطبة أكثر تفصيلا ألقاها فى ٦ فبراير سنة ١٩١٩ • ثم تبادل أقطاب المؤتمر وجهات النظر وأيد الرئيس ويلسون اقتراحا يقضى بايفاد لجنة دولية الى الهلال الخصيب لتدريس الأوضاع عن كثب وتقف بنفسها على رغبات سكان المنطقة ولكن مهمتهما الأساسية كانت التقدم بتوصيات تســـاعد على تحديد الدولة التى يتعين أن يســـند اليها أمر الانتداب على فلسطين[٦٣] •

---

(٦١) فيلكس فرانكفورتر (١٨٨٢ — ١٩٦٥) . أحد اقطاب الصهيونية ومن أشـــهر أساتذة القـــانون فى جامعة هارفارد ، كان مستشارا للرئيس ويلســـون فى مؤتمر الصلح وعضـــو الوفد الصـــهيونى الأمريكى لذلك المؤتمر .. راجع :

The Universal Jewish Encyclopeadia, New York 1941, Volume 4 pp. 407 - 410 .

(٦٢) D. Thomson, op. cit. p. 580.

(٦٣) Walter Laqueur (Edt.) The Israel-Arab Reader, New York, 1971, p. 23.

وتمت الموافقة فى ٢٠ مارس سنة ١٩١٩ على تكوين اللجنة على نحـــو تمثل فيه كل من فرنســـا وبريطانيا وايطاليا والولايات المتحدة الأمريكية ، ولكن فرنسا قاطعت تكوين اللجنة وتخلى لويد جورج عن تأييده للفكرة بعد أن وافق عليها من حيث المبدأ ولاذت ايطاليا بالصمت فكانت اللجنة التى تم تشكيلها فعلا أمريكية خالصة وهى اللجنة التى عرفت « بلجنـــة كنج ــ كرين » المؤلفـــة من دكتور هنرى تشرشل كنج وشارلز ر٠ كرين ٠

وعاد فيصل الى دمشق فى ٣ مايو سنة ١٩١٩ واستقبلته الوفود العربية من كل صوب فحدثها عن جهوده فى مؤتمر الصلح وعن حسن نية الحلفاء ووجهت الدعوة لعقد المؤتمر السورى العام وانتخب ممثلو الشعب الســـورى لهذا المؤتمر وفقا لقانون الانتخاب التركى القديم بالنظر الى ضيق الوقت (٦٤) وجاء نواب الشعب من بيروت وطرابلس واللاذقية وفلسطين الى دمشق وافتتح المؤتمر رسميا فى يوم ٧ يونيو سنة ١٩١٩ وبدأ الاعداد لاستقبال اللجنة الدولية التى وصلت يافا فى ١٠ يونيو سنة ١٩١٩ واستمعت الى ممثلى المؤتمر السورى الذين نقلوا اليها فى صدق رغبة الأمة فى تحقيق الاستقلال التام ووحدة ســـوريا الشاملة ورفض الانتداب الفرنسى والمطالبة باستقلال العراق واعتبار فلسطين ولبنان جزءا لا ينفصم من الدولة العربية الســـورية والغاء المعاهدات السرية « سايكس ــ بيكو » ورفض وعـــد بلفور ومطامع الصهيونية والهجرة اليهودية الى فلسطين ٠

وقد أبرق الجنرال كلايتون من القاهرة فى ٢٤ يونيو سنة ١٩١٩ الى كيرزون فى لندن ناصحا ألا ينشر أى قرار حول مستقبل الوضع فى سوريا وفلسطين الا بعد أن تقدم اللجنة الدولية تقريرها(٦٥) ٠

---

(٦٤) أمين سعيد ، المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٤٦

(٦٥) Woodward and Butler op. cit., p. 295 , No. 201, General Clayton (Cairo) to Earl Curzon (Received July, 1. 1919)No. E. A. 2555 Telegraphic [962 47 /2117 /44] Cairo, June, 24, 1919 .

وفى ٦ أغسطس ١٩١٩ تلقى كيرزون رسالة من الكولونيل فرينش فى القاهرة ينقل اليه النتائج والأفكار التى انتهت اليها لجنة « كنج — كرين » ويلخصها على النحو التالى :

١ — أن سوريا لن تقبل فرنسا باعتبارها دولة يسند اليها أمر الانتداب .

٢ — أن البرنامج الصهيونى لفلسطين لا يمكن تنفيذه الا بالقوة ضد رغبات السكان وذكرت اللجنة أنها لم تكن تدرك قبل مجيئها الى فلسطين مدى المعارضة التى تواجهها الصهيونية هناك من قبل السكان غير اليهود .

٣ — أن الرغبة العامة للسكان فى فلسطين هى الاتحاد مع سوريا(٦٦) .

مكثت اللجنة فى الشام نحو ستة أسابيع زارت خلالها عددا كبيرا من المناطق وتلقت ما يقرب من ألفى عريضة تؤيد المطالب العربية وعادت الى باريس وقدمت تقريرها الى مؤتمر الصلح فى ٢٨ أغسطس سنة ١٩١٩ ولكن أقطاب المؤتمر غضوا الطرف عنه وظل دفينا حتى نشر للمرة الأولى فى نيويورك فى ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٢(٦٧) .

وكان من أهم ما ذكرته اللجنة فى تقريرها أنها لا ترى سببا يحول دون اعتبار فلسطين جزءاً من دولة سورية موحدة ، شأنها فى ذلك شأن سائر الأجزاء الأخرى من الاقليم السورى ، على أن تخضع الأماكن المقدسة لاشراف لجنة دولية .

وبينماكان العرب فى سوريا يتطلعون الى وصول لجنة «كنج — كرين» الدولية كان فرانكفورتر فى باريس يحث الرئيس ويلسون على الاسراع

---

(٦٦) Woodward and Butler op. cit, pp. 315 - 316, No. (224) Colonel French (Cairo) to Earl Curzon (Received Aug 6 No. C.P. 311 [1125 76 /2117 / 44A] Cairo, July, 19, 1919.

(٦٧) Ceorge Antonius, The Arab Awakening Khayats, Beirut, 1938, p. 296.

انظر النص الكامل لتوصيات لجنة « كنج — كرين » فى المصدر نفسه ص ٤٤٣ — ٤٥٨

بتسوية المسائل المعلقة فى الشرق الأوسط وجلب الاطمئنان لليهود باعادة فلسطين اليهم باعتبارها وطنهم الأصلى[٦٨] وقد رد الرئيس ويلسون على رسالة فرانكفورتر المؤرخة فى ٨ مايو سنة ١٩١٩ برسالة قصيرة تاريخها ١٣ مايو سنة ١٩١٩ ونصها :

« باريس — ١٣ مايو ١٩١٩

« عزيزى فرانكفورتر

« هـذا مجرد سطر لابلاغك أننى تسلمت كتابك الهام المؤرخ فى ٨ مايو ولأقول لك اننى أقدر الأمر كله أعمق التقدير لما ينطوى عليه من خطورة وأهمية »[٦٩] .

« المخلص ودرو ويلسون »

ولم يقتنع فرانكفورتر بكتاب الرئيس ويلسون ، لأنه يريد كلمة صريحة يلتزم فيها الرئيس الأمريكى بادراج وعد بلفور فى معاهدة الصلح والعمل على تنفيذه فورا ، فكتب اليه مرة أخرى رسالة مؤرخة فى ١٤ مايو سنة ١٩١٩ ختمها بقوله « أرجو أن تسمح لى أن أقترح عليك بث الطمأنينةفى نفوسنا بكلمة عدل وحكمة، مكتوبة أو مسموعة — رغم مافى ذلك من الحاح — بأنكم عازمون فى ادراج وعد بلفورفى معاهدة الصلح وأنكم تهدفون الى ترجمة هـذا الوعد الى عمل قبل أن تغادروا باريس »[٧٠] .

ورد الرئيس ويلسون على هـذه الرسالة من باريس فى ١٦ مايو ١٩١٩ مخاطبا فرانكفورتر أنه — أى ويلسون — لم يكن يحلم بأن ثمة ضرورة لاصدار مزيد من التأكيد لالتزامه بوعد بلفور ، وقال ويلسونفى

---

(٦٨) Woodward and Butler, op. cit. Vol. 4, pp. 260 - 261 Mr. Franfurter to President Wilson, paris, May, 8. 1919 Encl. 1 in No. 180. Mr. Balfaur to Earl Curzon, No. 861[82739/1051/44] Paris, May, 31, 1919.

(٦٩) Woodward and Bultler op. cit. p. 261, President Willson to Mr. Franfurter, May, 13, 1919. تعريب المؤلف .

(٧٠) Woodward and Putler op . cit. p. 261. Mr. Franfurter to President Wilson, May, 14, 1919.

تلك الرسالة أنه لم يجد أحداً يعارض الغرض الذى ينطوى عليه وعد بلفور معارضة خطيرة واختتم رسالته مؤكدا لفرانكفورتر أنه لا يرى سببا يبعث على تثبيط الهمم وأن لديه من الأساليب ما يجعله يأمل أنه من الممكن الحصول على ضمانات وافية فى هذا الصدد(٧١) .

تلقى فرانكفورتر رد الرئيس ويلسون بالابتهاج والشكر وطلب منه أن يأذن له بعرض ذلك الخطاب على جميع من يهمهم الأمر وابراق برانداييس بمحتوياته(٧٢) فأذن له فى رسالة مؤرخة فى ٢١ مايو عام ١٩١٩ وقع عليها جلبرت كلوس السكرتير الخاص للرئيس ويلسون(٧٣) .

ان الضمانات التى حصل عليها فرانكفورتر من ويلسون حول وضع فلسطين ووعد بلفور تعنى أن اجماع الرأى العربى لم يعد له وزن فى هذه المسألة وأن فكرة ارسال لجنة « كنج ــ كرين » لتقصى الحقائق فى سوريا وفلسطين و لعراق كان مقضيا عليها بالفشل منذ البداية ، وقد فطن لذلك الجنرال كليتون الضابط السياسى الأول الملحق بالحملة المصرية فى القاهرة عندما أبرق الى كيزون فى وزارة الخارجية البريطانية فى أول يونيو سنة ١٩١٩ قائلا « انه تلقى أنباء من مسيو بيكو(٧٤) ومصدرها الدوائر الفرنسية الرسمية ، وأن بيكو أكد له صحتها ، تفيد أن العمل جار فى تقسيم سوريا دون علم فيصل وأن اللجنة الأمريكية « كنج ــ كرين » قادمة لتضليل فيصل ريثما يتم تقسيم سوريا، وأوضح كلايتون فى برقيته أن هذه الأنباء « اذا تحقق صدقها

---

(٧١) W. and Butler, op. cit. p. 262, Encl. 4 in No., 180. President Wilson to Mr. Franfurter, Paris, May 16, 1919.

(٧٢) Woodward and Butler op. cit. p. 262, Encl. 5 in No. 180, Franfurter to President Wilson, May, 20, 1919.

(٧٣) W. and Butler, op. cit., p. 262 Encl. 6 in, No. 180, Mr. Close to Franfurter, Paris, May, 21, 1919.

(٧٤) رئيس الادارة المدنية الفرنسية فى الاقليم السورى الساحلى الذى كان يعرف بأرض العدو المحتلة الغربية «O.E.T.W.» وهى المنطقة التى كانت من نصيب فرنسا .

فانها فى رأى بيكو — وأنا أوافقه على ذلك — تمثل لعبة خطيرة ، لأن فيصل اذا علم أن مصير سوريا قد تقرر دون علمه وقبل أن تقدم اللجنة الدولية تقريرها فانه لا شك سوف يقوم بعمل عدائى »(٧٥) .

وكانت وزارة الخارجية البريطانية فى ذلك الوقت تتلقى تقارير دقيقة عن الموقف الداخلى فى سوريا وفلسطين ومن تلك التقارير تقرير نائب الضابط السياسى الأول فى دمشق كورنواليس المؤرخ فى ١٦ مايو سنة ١٩١٩(٧٦) الذى وصف فيه الاجتماعات السياسية فى سوريا وفورة الحماس الوطنى للأمة والتفافها حول فيصل بعد عودته من باريس واصرار الشعب على الاستقلال ورفض التدخل الفرنسى ثم وصف اجتماع الوفود السورية التى بايعت فيصل فى ٩ مايو ١٩١٩ (ذكر أمين سعيد أن هذا الاجتماع تم فى ٥ مايو ١٩١٩) وقد نقل كلايتون هذه الصورة الى حكومته فى لندن ونصحها بل حذرها من انفجار الموقف اذا اتضح للشعب العربى — وهو مجمع على معارضة أى تقسيم للأقاليم العربية — أن مؤتمر الصلح قد اتخذ قرارا فى ذلك من قبل ، أو اذا كان الغرض من ارسال اللجنة الدولية ذر الرماد فى العيون، ولكن المسئولين فى لندن وباريس لم يستجيبوا للنصح . كذلك أشار كلايتون فى تقريره الى أن أى قرار يتخذ بشأن مصير البلاد العربية المذكورة قبل أن يتاح لأهلها التعبير عن رغباتهم وبسط قضيتهم سوف يعتبر فى نظرهم خرقا لميثاق عصبة الأمم ولمبدأ تقرير المصير الذى كثيرا ما دافع عنه أقطاب الدول المتحالفة ، ونقضا للتصريح البريطانى الفرنسى(٧٧) .

---

(٧٥) W. and Butler op. cit. p. 263, No. 181, Clayton (Cairo) to Earl Curzon (Received June 2,) No. E. A. 2491 Telegraphic [82973 / 2117 / 44] Cairo, June, 1, 1919.

(٧٦) Woodward and Butler op. cit. pp. 263 - 272 , No. 182 General Clayton to Earl Curzon No. CPO / 93 / 2 [89850/ 2117 / 44,] Cairo, June, 5, 1919.

(٧٧) Woodward and Butler op. cit. pp. 272 - 273 General Clayton (Cairo) to Earl Curzon CPO / 107 / 5 [91480/2117/44] Cairo, June, 8, 1919.

وفى تقرير آخر من كلايتون الى وزارة الخارجية البريطانية وجه نظر المسئولين فى لندن الى أن شعب فلسطين يرفض الانتداب البريطانى اذا كانت بريطانيا ترى أنه لا مناص من اقتران البرنامج الصهيونى بالانتداب • لأن الفلسطينيين يريدون بلادهم لأنفسهم وأنهم سيقاومون الهجرة اليهودية الى فلسطين بكل ما يملكون من وسائل بما فى ذلك المقاومة المسلحة(٧٨) وبدلا من أن تولى وزارة الخارجية هـذا التقرير الخطير اهتماما خاصا ، أحالته الى هربرت صمويل بتوجيه من بلفور وطلبت منه ابداء رأيه فيما يمكن أن يتخذ من تدابير لتخفيف روح العداء التى تواجهها الصهيونية فى فلسطين وذلك بوصفه — أى صمويل — رئيسا للجنة الانماء الاقتصادى لفلسطين وقام صمويل بدوره باستشارة وايزمان وسوكولوف وهما فى باريس ثم رد على وزارة الخارجية فى ٥ يونيو سنة ١٩١٩ ردا يبـدو أن اعداده تم برضاء وموافقة الوفد الصهيونى فى باريس(٧٩) وقد نصح صمويل وزارة الخارجية أن تؤكد للسلطات الادارية فى فلسطين أن وعد بلفور أصبح جزءا من السياسة البريطانية المقررة وأن سياسة بريطانيا تتجه نحو وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى وأن شروط الانتداب سوف تشمل اعلان ٢ نوفمبر ١٩١٧ — أى وعد بلفور — وأن العرب لن يجردوا من أراضيهم أو يطلب منهم مغادرة البلاد ، وأنه لن يكون هناك مجال فى فلسطين لاخضاع الكثرة من السكان لحكم القلة ، وأن البرنامج الصهيونى لايحتوى على مثل هـذه الأفكار • كذلك نصح صمويل لندن أن تصدر توجيهاتها الى المسئولين لتحذير العرب هناك أن اثارة الاضطرابات ليست فى مصلحتهم ولن تحقق لهم غرضا وأن أموالا طائلة سوف تتدفق فى فلسطين تحت

---

(٧٨) Woodward and Butler , op. cit. pp. 282 - 283 Enclosure 1 in No. 197, Letter from Sir W. Tyrrell to Mr. Samuel No. 242 ME / 44 Foreign Office May 31, 1919 .

(٧٩) Woodward and Butler op. cit. p. 285, Enclosure 3 in 197, letter from Mr. Samuel to Sir W. Tyrrell, Paris, June, 5, 1919.

الادارة الجديدة لتنميتها وستجنى كافة الطبقات والأجناس ثمرة انفاق تلك الثروة(٨٠) •

اننا نلمح فى ثنايا هـذا الكتاب أصابع وايزمان والوفد الصهيونى فى باريس لأن هربرت صمويل سافر الى باريس لاستشارة وايزمان وسوكولوف قبل أن يعد رده وذكر ذلك صراحة فى كتـابه(٨١) • ومن الواضـح أن نصيحة صمويل لوزارة الخارجية فى لندن تنطوى على استجابة لرغبة زعماء الصهيونية المجتمعين فى باريس وتحمل تهديدا ووعدا ووعيدا للشعب العربى فى فلسطين وتكتمل الصورة عندما يتحرك بلفور فى باريس ويكتب الى لورد كيرزون رسـالة مؤرخة فى أول يوليو ١٩١٩ يؤيد فيها كتاب هربرت صمويل ويوجه بنقل خلاصة رأى صمويل الى اللنبى فى القاهرة وقام كيرزون ـ فعلا ـ بارسال برقية فى ٤ أغسطس سنة ١٩١٩(٨٢) الى كولونيل « French »فىالقاهرة اشتملت على أهم ما ذكره هربرت صمويل فى رسـالته وبنفس الصيغة التى أعدها صمويل •

ان المقترحات التى تقدم بها هربرت صمويل وتبناها بلفور لانقاذ الصهيونية من غضبة الشعب العربى فى فلسطين ، لا تخلو من سذاجة فقد استندت الى الاغراء والتهديد والتلويح بالثروة والرخاء المرتقب ولكن الموقف فى فلسطين كانيختلف فىحقيقته عنتصور بلفوروهربرت صمويل ، لأن الشعب العربى هناك كان يقظا لكل مايراد به وكان على أهبة الاستعداد لمواجهة كافة الاحتمالات بما فى ذلك المواجهة المسلحة، وهـذه هى الحقائق التى نقلها الضابط السياسى المساعد فى القدس

---

(٨٠) Woodward and Butler op. cit. p. 284 letter from Samuel to Sir W. Tyrrell, Paris, June 5, 1919.

(٨١) Woodward and Butler op. cit. pp. 300 - 301 (No. 210) Mr. Balfour (Paris) to Earl Curzon No. 1132 [96834/ 2117/44] Paris, July, 1, 1919.

(٨٢) Woodward and Butler op. cit. p. 329, No. (236) Earl Curzon to Colonel French (Cairo) No. 245 Telegraphic [96834 / 2117 / 44] Foreign Office, August, 4, 1919.

الى المسئولين البريطانيين فى القاهرة ولندن ، فى تقرير مفصل مؤرخ ١٢ أغسطس ١٩١٩ بعنوان « الحركة العربية والصهيونية » وقد أيدت القاهرة الحقائق التى وردت فى ذلك التقرير(٨٣) وكاتب التقرير هو الرائد كامب «J.N.Camp» الذى ذكر أن الحركة العربية فى القدس تتركز فى أربع جمعيات وهى المنتدى الأدبى والنادى العربى وجمعية الاخاء والوفاء والجمعية الفدائية ، وكانت المنتدى — أهم هـذه الجمعيات وأقواها أثرا — تنادى باستقلال العرب ووحدة فلسطين وسوريا ورفض الصهيونية فى أية صورة من صورها ومنع الهجـرة اليهودية والغاء الامتيازات الأجنبية ، وكان أبرز قادة هذه الجمعية محمد يوسف الخطيب ويعرف أحيانا بمحمد يوسف جمعـة الكنانى ومحمود الخالدى وحسن صدقى دجانى واسعاف النشاشيبى وعمر زعانى البيروتى وعدد من أفـراد أسرة النابلسى • وانضمت اليهم أخيرا جمعيـة أخرى هى « المنتدى الدجانى » وكان نشـاط هذه الجمعيات يتمثل فى تسليح أعضائها بالأسلحة الخفيفة واعداد غوائم بأسماء زعماء اليهود والموالين للصهيونية وبث الوعى بين البدو فى شرقى الأردن وتركيز تجمع الضباط الفلسطينين فى عمان استعدادا للطوارىء اذا ما أعلنت السياسة الموالية للصهيونية • وكان من بين أعضاء الجمعيات المذكورة من تعلم اللغـة العبرية لمتابعة كل مايقال ويكتب فى الصحف اليهودية، وكان منهم من يراقب الموقف بدقة ، ومن يقوم باستمالة رجال الأمن للاتفاق معهم على تسـليم أسلحتهم أو على الأقل لحملهم على الامتناع عن التدخل اذا اندلعت الثورة • ويستطرد الرائد كامب قائلا: ان المنتدى الأدبى كانت تلعب دورا قياديا فى كل هذا النشاط وأن الاعداد جار فى هدوء من كافة الوجوه تمهيدا للعمل اذا قدر للسياسة الصهيونية أن تحرز نجاحا • ويعتبر كاتب التقرير أن أخطر الشخصيات العربية على الاطلاق من المعادين للصهيونية ولبريطانيا على حد سواء هم :

---

(٨٣) Woodward and Butler op. cit pp. 360 - 365, No. 253, Colonel French (Cairo) to Earl Curzon (Received Sept.6) No. C. P. O. 31 / 110 [125609 / 2117 /44A] Cairo Aug. 26, 1919 and Enclosure No. 253, Arab Movement and Zionism.

محمود يوسف العلمى ومحمود عزيز الخالدى وحسن صدقى دجانى وعمر زعانى البيروتى والشيخ رشيد الخطيب وجودت الحلبى،وأضاف الرائد كامب قائلا : ان هذه الجمعيات موجودة أيضا فى كل بقعة ذات أهمية فى فلسطين ، فى نابلس ويافا وغزة وتل كرام وحيفا الخ(٨٤) ويؤكد مستر كامب للمسئولين البريطانيين أن جميع المسلمين والمسيحيين من ذوى المكانة المرموقة فى فلسطين هم ضد الصهيونية ويتجاوبون مع الجمعيات التى تعادى الصهيونية والهجـرة اليهودية ، ثم يقول : « اننا اذا كنا نعنى أن ننفذ أى نوع من أنواع السياسة الصهيونية ، فعلينا أن نفعل ذلك بالقوة العسكرية ونتخذ سياسة حازمة قوية ضد جميع دعاة الفتنة فى البلاد » وحذر مستر كامب قومه ألا يطمئنوا الى فيصل لأن « لديه المقدرة — فيما يبدو — على الاتفاق معنا ومع الفرنسيين ومع الصهيونية بما فى ذلك من تناقض — ثم يحاول أخيرا أن ينفرد بالعمل كما يشاء »(٨٥) .

كانت قوة المعارضة الجارفة ضد الصهيونية من قبل الشعب العربى فى فلسطين أكبر مشكلة أمام السلطات البريطانية التى عقدت العزم على تنفيذ البرنامج الصهيونى ، ولكن الصهيونية وجدت فى الكولونيل «R. Meinertzhagen» — الذى خلف كلايتون فى القـاهرة فى منصب الضابط السياسى الأول — سندا قويا فقد بعث هـذا الضابط فى ٢٦ سبتمبر سـنة ١٩١٩ من موقعه الرسـمى فى القاهرة رسـالة الى كيرزون(٨٦) أعلن فيها أنه يتحدث عن الصهيونية بوصفه أحد المؤيدين المتحمسين لها ثم تطرق الى الصعاب التى واجهت الاداريين البريطانيين فى فلسـطين من جراء معارضة العرب لسياسة بريطانيا الرامية الى التمكين للصهيونية فى فلسـطين وضغط قادة الصهيونية المحلية عليهم

---

(٨٤) Woodward and B. op. cit. p. 364.

(٨٥) W. and B. op. cit. p. 364.

(٨٦) W. and B. op. cit. p. 425 - 428.
No. 298, Colonel Meinertzhagen (Cairo) to Earl Curzon (Received Oct. 14) No. C. P. O. 311 /1 [141037 / 441A] .

لاعلان البرنامج الصهيونى قبل أن يصبح الانتداب البريطانى نافذا • ثم ذكر الكولونيل ماينرتزاجن أنه رأى أن يسند الى دكتور وايزمان رياسة اللجنة الصهيونية لأن ذلك يساعد على دعم مركز الصهيونية المحلية ، وذكر أنه من المؤكد نجاح الصهيونية فى فلسطين آخر الأمر رغم معارضة السكان ولكن ذلك رهين بالأسلوب الذى يتبع والنمو التدريجى للحركة وهو يرى أن الوقت ليس ملائما لابلاغ الشعب الفلسطينى جهرة أن اقامة الصهيونية فى فلسطين هى السياسه التى التزمت بها بريطانيا وأمريكا وفرنسا وأنه يفضل أن يعالج الموقف بعد وصول وايزمان وذلك باعداد بيان رقيق يشرح للسكان معنى الصهيونيه وبراءتها من التعصب الدينى بلغة معتدلة للغاية ويبصرهم بالأسلوب المترفق الذى يتبع فى ادخالها وما تجلبه من مزايا لفلسطين[٨٧] •

ولم يكن الموقف فى مصر خيرا منه فى سوريا وفلسطين لأن الأمة العربية كانت تواجه جبهة متحدة فى أوروبا قوامها الثلاثة الكبار ، وكان على ريجنالد وينجت الذى خلف ماكماهون على دار العمادة فى مصر أن يواجه تطورات الموقف بعد اعلان الهدنة ، ولم يطل انتظاره فقد طرق بابه فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ وفد من قادة الحركة الوطنية فى مصر برياسة سعد زغلول ليضعوا أمامه مطالب الأمة ، وقبل أن نستعرض مادار فى تلك المقابلة الهامة يجدر بنا أن نستمع الى الأستاذ العقاد وهو يصف الوضع فى مصر بعد اعلان الحماية البريطانية فيقول :

« لم تمض أشهر قليلة بعد اعلان الحماية حتى كانت السلطات الانجليزية قد نقضت كل ما عاهدت عليه الأمة المصرية ، فأطلقت أيديها فى دواوين الحكومة جميعا الا ما هى فى غنى عنه ولا قدرة لها على ادارته لقلة الموظفين الانجليز فى تلك الفترة وأمعنت من جهة فى التضييق على أعداء الاحتلال ••• ثم احتاجت الى العمال فجمعت منهم نحو مليون ومائتى ألف من الفتيان الأشداء فرقتهم فى ميادين القتال وأهملتهم

---

(٨٧) W. and B. op. cit, p. 428.

أسوأ اهمال ... واحتاجت الى الزاد والعلف والماشية والدواب فأخذت منها ما شاءت أن تأخذ بلا اكتراث لحاجة الفلاح الفقير » (٨٨) .

وكان مع سعد فى مقابلته لـ «وينجت» على شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك وبدأ وينجت الحديث ، ورد سعد مطالبا بالغاء الأحكام العرفية ومراقبة الصحف والمطبوعات لينفس الناس عن أنفسهم بعد ما عانوا من الضيق أكثر من أربع سنين ، وتحدث شعراوى قائلا « اننا نريد أن نكون أصدقاء للانجليز صداقة الحر للحر لا العبد للسيد » فصاح وينجت دهشا « اذن أنتم تطلبون الاستقلال » ؟ فأجابه سعد : «نعم .. ونحن أهل له »(٨٩) . وكانت تلك المقابلة بمثابة الشرارة التى انطلقت منها ثورة مصر العربية سنة ١٩١٩ عندما استخف المسئولون البريطانيون بحق أبنائها فى الحرية والاستقلال وأصدروا توجيهاتهم الى وينجت بمنع قادة الحركة الوطنية من السفر الى أوروبا لبسط قضيتهم العادلة أمام مؤتمر الصلح فى وقت بشر فيه أقطاب المؤتمر بمبادىء الحرية وحق تقرير المصير ولكن أهل الحل والعقد فى لندن لم يطيقوا أن يسمعوا نبأ المقابلة التى تمت بين وينجت وسعد زغلول وأقبلوا على وينجت ذما وتأنيبا (٩٠) لمجرد استماعه الى راى الوفد المصرى فى مستقبل بلاده ورفض وينجت التوبيخ مدافعا عن وجهة نظره وكان لا يرى غضاضة فى السماح لسعد زغلول وحسين رشدى وعدلى يكن للذهاب الى لندن للافصاح عن آرائهم لأن ذلك من شأنه أن يساعد على تهدئة الموقف فى مصر (٩١) ، واستدعى وينجت فى لندن للتشاور فوصلها فى نهاية يناير سنة ١٩١٩ ، ولكن وزارة الخارجية

---

(٨٨) عباس محمود العقاد ، سعد زغلول ، القاهرة ١٩٣٦ ص ١٨١ — ١٨٢

وانظر أيضا : E. Kedourie , The Chathman House Version, and other Middle Eastern Studies (Sa'ad Zaghlul and the British) pp. 102 - 103 .

(٨٩) العقاد ، المصدر نفسه ص ١٩٧ — ١٩٨

(٩٠) Kedourie, op. cit. Sa'ad Zaghlul and the British, pp. 95 - 96 .

(٩١) Kedourie, op. cit. p. 99.

البريطانية وعلى رأسها بلفور كانت ضد فكرة سفر الوفد بحجة أن قادة الحركة الوطنية فى مصر (يعنى الوفد) وضعوا أنفسهم على رأس حركة لا تدين بالولاء لبريطانيا وتعمل لاخراج الانجليز من مصر ولذلك لا ينبغى أن يسمح لهم بالسفر لئلا يفسر ذلك بأنه ضعف من جانب الحكومة البريطانيه ، وجاءت التوجيهات قاطعة فى برقية من لندن بتاريخ ٢٦ فبراير ١٩١٩ الى مستر شيتام القائم بأعمال المندوب السامى فى القاهرة ، ألا يسمح لأى مصرى ، بصفة رسمية أو غير رسمية بمغادرة البلاد مهما كانت النتيجه فقدم حسين رشدى استقالة حكومته فى أول مارس ١٩١٩ وبعث شيتام رسالة الى لندن يقول فيها ان الأحوال هادئة فى مصر وأن سعد زغلول ورفاقه لا يتمتعون بتأييد شعبى !! (٩٢) بل أبرق الى لندن فى ٢٤ فبراير ١٩١٩ يحثها على تجاهل حركة سعد زغلول ويقول انه لا ينبغى أن يسمح لتلك الحركة أن تؤثر على قرارات الحكومة البريطانية فيما تراه حول المسائل الدستورية وما ينبغى أن يكون عليه وضع الحماية فى مصر .

وفى اليوم السادس من شهر مارس ١٩١٩ تلقى سعد زغلول وتسعة من أصحابه انذار القائد العام الجنرال واطسون يحذرهم من وضع مسألة الحماية موضع المناقشة « واقامة العقبات فى سير الحكومة المصرية تحت الحماية بالسعى فى منع تشكيل وزارة جديدة ، ويهددهم ان أقدموا على مخالفة ذلك بالمعاملة الشديدة بموجب الأحكام العرفية » (٩٣) ورد سعد على الانذار البريطانى بأن « الوفد يطلب الاستقلال التام ويرى الحماية غير مشروعة ولا يتأخر عن أداء واجبه مهما كلفه ذلك » (٩٤) .

وفى اليوم نفسه (٦ مارس) أبرق شيتام الى لندن طالبا الاذن باعتقال سعد وأصحابه ونفيهم، وتلقى الرد بالموافقة من وزارة الخارجية

---

(٩٢) Kedourie, op . cit. , p. 100.

(٩٣) العقاد ، المصدر نفسه ص ٢١٩ — ٢٢٠

(٩٤) العقاد ، المصدر نفسه ص ٢٢٠ .

فى ٧ مارس ، وفى ٩ منه تم اعتقال سـعد وثلاثة من أصحابه وهم اسماعيل صدقى وحمد الباسل ومحمد محمود ونفوا الى مالطة [٩٥] .

وسرى نبأ الاعتقال رغم تكتم القيادة العسكرية وانطلقت ثورة ١٩١٩ لا تلوى على شىء ولم يعلم عنها سعد وأصحابه فى مالطة حتى جاءهم حاكم الجزيرة لورد ثوين ليقول لهم « أشعلتم النار فى مصر وجئتم الى هنا » ؟ [٩٦] ، وعمت الثورة البلاد وشارك فيها الفلاحون مشاركة مرموقة وظهرت الحكومات الوطنية المستقلة عن القاهرة فى زفتى والمنيا والمجالس الوطنية فى كثير من المراكز [٩٧] .

وأدركت بريطانيا أنها أخطأت التقدير ووصف شيتام الموقف بالخطوة وقال ان مصر لم تشهد موقفا كهذا منذ ثورة عرابى (١٨٨٢) ووصف الثورة بأنها ثورة وطنية بمعنى الكلمة [٩٨] ولكن هذا الوصف من رجل مسئول فى ذلك الوقت لم يرق لخدورى الذى أراد أن يضفى على الثورة ثوبا آخر ليجعلها ثورة رعاع ضاقت بهم سبل الحياة وأرهقهم الغلاء وسوء الحالة الاقتصادية [٩٩] !!

واتصل شيتام بالقنصل الأمريكى فى القاهرة لابلاغه خطورة الموقف ونصح لندن أن تسمح للمصريين بالذهاب الى لندن وباريس حتى اذا لم تعترف بهم رسميا ، ولكن كيرزون أخذته العزة بالاثم فرفض الاستماع الى رأى شيتام واتهمه بالضعف ، وتأزم الموقف ، ووقف بلفور الى جانب شيتام مطالبا بتأليف حكومة قوية فى مصر ومرحبا بوفد رسمى من مصر تمثل فيه القوى الوطنية ، وعين اللنبى (٢٠ مارس ١٩١٩) مندوبا ساميا خاصا لمصر مع أن وينجت لم يبعد

---

(٩٥) Kedourie, op. cit. p. 101.

(٩٦) العقاد ، المصدر نفسه ص ٢٤١

(٩٧) محمد أنيس : دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ جـ ١ ، الطبعة الأولى القاهرة ، ١٩٦٣ ص ١٠ — ١١

(٩٨) Kedourie, op. cit. p. 105.

(٩٩) Kedourie, op. cit. pp. 102 - 104.

من منصبه • وتسلم اللنبى مهمته الجديدة فى القاهرة فى ٢٥ مارس ١٩١٩ وآلت اليه السلطة الحقيقية ، وظل وينجت فى منصبه أيضاحتى خريف سنة ١٩١٩ ولكن بغير سلطة فيما يبدو [١٠٠] •

ولم تجد بريطانيا مناصا من الاعتراف بسوء تقديرها لموقف الحركة الوطنية فى مصر فقررت الافراج عن سعد وأصحابه بعد شهر من الاعتقال فى مالطة وسمحت للوفد المصرى بالسفر الى باريس ، ولكن عندما وصل أعضاء الوفد الى مقر مؤتمر الصلح وضح لهم أن أمريكا قد اعترفت بالحماية البريطانية على مصر منذ ١٩ ابريل ١٩١٩ أى بعد وصول الوفد الى مرسيليا بيوم واحد وأدرك سعد أن الأمل فى الموقف الدولى قد انقطع وأن المعركة فى سبيل القضية المصرية سوف تجرى على أرض مصر وحدها ، وكان الانجليز — كما قال الدكتور محمد أنيس — يدركون هذه الحقيقة فلم يقلقهم كثيرا وجود الوفد فى باريس وانما كان مصدر قلقهم الوحدة الوطنية التى التفت حول الوفد [١٠١] ، وأخذ سعد يقود المعركة من باريس عن طريق رسائله السرية الى عبد الرحمن فهمى سكرتير لجنة الوفد فى القاهرة •

* * *

---

(١٠٠) Kedourie, op. cit. pp. 108 - 111.

(١٠١) محمد أنيس ، المصدر نفسه ص ١١ — ١٢ .